**دخول الأحساء تحت حكم ابن سعود**

بعد أن تخلص الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل من خصمه اللدود عبد العزيز بن متعب آل رشيد عام 1324هـ واستتبت له الأمور في القصيم عام 1326هـ وقضى على خصومه أحفاد الإمام سعود بن فيصل عام 1328هـ عزم على ضم منطقتي الأحساء والقطيف إلى مناطق حكمه، ولعل أهم سبب يدفعه للسيطرة على الأحساء هو أن إمارته تقع في منطقة داخلية وبسيطرته على الأحساء يكون قد حصل على منفذ بحري. وفي نفس الوقت كانت الدولة العثمانية قد تعرضت لهزيمة على يد الإيطاليين في ليبيا وانشغلت بالحرب في منطقة البلقان، فضعفت سلطاتها في المناطق النائية، بل إن بعض المصادر تشير إلى أن الدولة العثمانية قد طلبت من ابن سعود أن يرسل قوات لدعم حامياتها في الأحساء والقطيف. إضافة إلى كل هذه الأحداث التي أكدت لابن سعود ضعف موقف الدولة العثمانية في الأحساء، فإن سياسة العثمانيين في المنطقة لم تكن سياسةً حكيمة حيث أنها أرهقت سكان المنطقة بالضرائب وعجزت عن ضبط الأمن خارج أسوار المدن، مما جعل السكان يتطلعون إلى من يخلصهم من ذلك الوضع.

وفي عام 1331هـ أرسل ابن سعود لقبيلة العجمان يخبرهم بأنهم سيغزو قبيلة مطير لعلمه بأنهم سيفرحون بمثل هذا العرض، فواعدهم في مكان بعيد نسبياً عن الأحساء. ولما تيقن من كونهم بعيدين عم الأحساء وأنه لا يمكن لهم أن يفسدوا مخططه هب سريعاً وتوجه إلى الأحساء، وكان قد أخبر بعض أنصاره في الهفوف ليجهزوا له الأدوات التي يحتاجها لاقتحام سور الهفوف. وبالفعل لما وصلوا وجدوا السلالم والحبال قد أعدت، فتسلق رجاله السور وانتشروا في البلدة. أما الحامية التركية فقد تحصنت بقصر إبراهيم. فأرسل ابن سعود مندوباً للمتصرف العثماني يطلب منه الخروج من الهفوف، فاشترط المتصرف أن يكون له ولجنوده الأمان على الأنفس والأموال، فقبل ابن سعود أن يعطيه الأمان على الأنفس والأسلحة الشخصية دون الأموال. ثم رحلهم الأمير عبد العزيز عن طريق العقير ثم البحرين. وبعد ذلك أرسل سرية إلى القطيف تمكنت من دخولها دون صعوبة تذكر. وبذلك تكون منطقة الأحساء قد دانت لحكم ابن سعود، فعين عبد الله بن جلوي أميراً عليها وعاد إلى الرياض.

**معركتي جراب وكنزان**

بدأت الحرب العالمية في عام 1332هـ/ 1914م وانتهت في عام 1337هـ/ 1918م، وقد كان لهذه الحرب آثاراً واضحةً على سير الأحداث في الجزيرة العربية، خاصةً وأن طرفي الحرب بريطانيا والدولة العثمانية لهما اليد الطولى في تحريك الأوضاع السياسية في المنطقة. كانت إمارة حائل قد رمت بثقلها مع الدولة العثمانية منذ بدأت الحرب. وفي المقابل ضغطت بريطانيا على ابن سعود ليتخذ موقفاً معادياً للدولة العثمانية نظراً لكون الدولة العثمانية تعتبر عدواً تاريخياً لأسرته ونظراً لكونه حليفاً لبريطانيا. فبدأ كلا الطرفان يعد العدة لمجابهة الآخر.

استنفر ابن سعود أتباعه من الحاضرة والبادية وسار بهم حتى وصل جراب -وهو موضع قريب من بلدة الزلفي-. فتوجه ابن رشيد نحو ابن سعود، ووقعت المعركة بين الطرفين في عام 1333هـ. مالت الكفة في بداية القتال لابن سعود وأتباعه، ولكن قبيلة العجمان التي كانت في صف ابن سعود لما رأت انشغال ابن سعود وأتباعه بالقتال تفرغت لنهب إبله وإبل أتباعه ثم انسحبت من أرض المعركة. فلما أحس ابن سعود وأتباعه بأن خيانةً قد حدثت داخل صفوفه حدثت الهزيمة، فقتل في المعركة العديد من مشاهير أتباع ابن سعود، ومنهم: محمد بن جلوي، ومحمد بن شريدة أمير غزو بريدة، وصالح الزامل أمير غزو عنيزة. وكان من بين القتلى الضابط البريطاني ويليام شكسبير.

عزم ابن سعود على أن يؤدب قبيلة العجمان بسبب خيانتها له في معركة جراب، خاصةُ بعد أن علم أن بعض أحفاد الإمام سعود بن فيصل قد عادوا لمناصرة هذه القبيلة. فتوجه ابن سعود إلى الأحساء، وأراد أن يهاجم العجمان ليلاً، لكنهم علموا بتحركه، فأوقدوا النيران في موضعهم ليوهموا المهاجمين بأنهم لم ينتبهوا لهم، وانسحبوا من خيامهم وكمنوا في الأماكن المحيطة بموضعهم. انطلى الأمر على المهاجمين، فبدأوا بإطلاق نيرانهم على خيام العجمان والأشجار الموجودة قرب تلك الخيام ظناً منهم بأنهم يطلقون على خصومهم. فلما كادت ذخيرة المهاجمين أن تنفد انقض عليهم العجمان من كل حدب وصوب، فحلت الهزيمة بأتباع ابن سعود، وأصيب هو نفسه بعدة جراحات، وقتل أخوه سعد. فانسحب المهزومون إلى الهفوف وتبعهم العجمان الذين ضربوا حصاراً على الهفوف لمدة ثلاثة أشهر حتى وصلت نجدة من الرياض بقيادة الأمير محمد بن عبد الرحمن، ووصلت نجدة أخرى من الكويت بقيادة سالم بن صباح، فانسحب العجمان من مواقعهم. وقد استمر العجمان بمناوئة ابن سعود حتى عام 1337هـ حين تأثر كثير من قبيلة العجمان بمبادئ الدعوة الإصلاحية وانظموا لحركة الإخوان.

**تأسيس حركة الإخوان**

تطلق مفردة "الإخوان" في نجد على طلاب العلم والمرتبطين بهم، أو أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لكنها أصبحت ذات دلالة تاريخية مرتبطة بحركة توطين البادية التي نُفذت على نطاق واسع في عهد الملك عبد العزيز. أدرك ابن سعود أن الحاضرة كانت تشكل العمود الفقري لجيشه وجيوش أسلافه، بينما كان من الصعب المراهنة على ولاء البادية بسبب طبيعتهم الصحراوية التي تحتم عليهم الوقوف إلى جانب المنتصر أياً كان والتخلي عن الضعيف مهما كان. كما أنه تصعب السيطرة على البادية بسبب انغماسهم في الصحراء، والعكس صحيح بالنسبة للحاضرة. ولتجاوز هذه المعضلة سعى ابن سعود لتوطين البادية.

بدأ تطبيق هذه الاستراتيجية حين أرسل ابن سعود الدعاة إلى البادية يعلمونهم دين الله، ويحثونهم على هجر حياة البادية لما فيها من بعد عن التعلم والتدين، والاستقرار في البلدان ليسهل عليهم التعلم والتدين. وقد كانت أول بلدة أسست لهذا الغرض هي بلدة الأرطاوية، حيث استوطنتها قبيلة مطير. وأُطلق على هذه القرى الجديدة مسمى "هجر" ومفردها "هجرة" إشارة إلى هجرهم نمط حياتهم الأول والانتقال إلى نمط حياة جديد أساسه الدين. وأصبح هؤلاء المستقرون في تلك الهجر يطلقون على بعضهم لقب "الإخوان" كناية عن أن أخوة الدين ورابطته أصبحت بالنسبة لهم أهم من رابطة القبيلة. وبلغ بهم الحماس حتى هجروا من لم يهاجر معهم من تلك الهجر من أبناء قبائلهم.

لقد كان من أهم نتائج توطين البادية وتأسيس حركة الإخوان هو تكوين وحدات عسكرية جمعت بين الخبرة القتالية والحماس الديني مما جعلها تستبسل في سبيل الهدف الذي آمنت به، فصب هذا الحماس في مصلحة الملك عبد العزيز، حيث كان الدور الحاسم في جميع المعارك التوسعية التي خاضها الملك عبد العزيز فيما بين سنتي 1336 و1344هـ هو دور الإخوان.

**المراجع:**

عبد الله الصالح العثيمين: تاريخ المملكة العربية السعودية، 2: 135-167.